

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الجزء الثاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله النبي المرسل رحمة للعالمين،
وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى أتباعه من العلماء العاملين، والدعاة الهادين
المهتدين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الجزء الثاني من رسائل العلامة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود -
رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر. أقدمه للقارئ الكريم وفيه
طائفة من رسائله، التي كتبها في أوقات متفاوتة، وأزمان متباعدة، وظروف مختلفة
حسب الحاجة، أو جواباً على طلب من دولة، أو مباحثة مع عالم؛ حيث يظنها البعض
غير مترابطة، غير أن المتمعن فيها يجد بينها صلة وثيقة لأنها تغترف من الأصل
الذي عليه اعتماد المسلمين في أمور دينهم ودنياهم، بل وفيه أيضاً السعادة لغير
المسلمين لو أنهم عملوا بموجبه ألا وهو: كتاب الله الكريم الذي لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من عزيز حميد، لذلك وقل أن تجد أمراً تطرق إليه
المؤلف إلا وقدم الآيات الكريمة من كتاب الله مستدلاً لما ذهب إليه من الأقوال،
ويساند ذلك ويساعده اعتماده على الحديث النبوي الشريف.

ومن أخذ بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقد هدي
إلى الصراط المستقيم. أقول هذا ولا أزعم أن المؤلف معصوم من الخطأ، ولكنني
أردد ما سبق وقلته في تقديم الجزء الأول: "ولقد بذل فضيلة الشيخ المؤلف في هذه
الرسائل الجهد والوسع وتحرى فيها المصلحة العامة، وحاجات الناس التي تختلف،
وأبى الله العصمة لغير كتابه، وإن العالم المخلص الصادق يبذل الجهد للوصول إلى
الحق، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، ولا تثرِب عليه، كما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وستجد بين يديك أول هذه الرسائل رسالة الجهاد. والجهاد ذروة سنام
الإسلام، والموت في سبيل الله من أسمى ما يسعى إليه المؤمنون الصادقون، وأنواع

الجهاد كثيرة متعددة ومنها الجهاد بالسيف، والجهاد بالقلم، والجهاد بالمال، والرأي ... إلخ. وقد انحرف بعض الناس عن فهم المعنى الصحيح للجهاد فحملوه ما لا يحتمل، وبثوا في كتبهم وخطبهم كلاماً لو تأمله أصحابه لوجدوه بعيداً عن روح الإسلام غريباً عن سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. الأمر الذي جعل البعض يتصور الإسلام دين قتل وتعذيب، والدعوة إليه لا تكون إلا بالسيف المصلت على الرقاب، وكأن المسلمين من القتلة والسفاكين، والواقع أن حقيقة هذا الدين هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأول المعروف دعوة الناس إلى الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له إيماناً يشمل ما لله من صفات، وما لذاته من قدر، والتصديق بالنبوة، وأنه سبحانه أرسل رسلاً ليدلوا الناس على هذا الخير الذي فيه مصلحتهم في دنياهم وأخراهم.

وهذا كتاب الله بين أيدينا لا نجد فيه ما يدل على ما فهمه هؤلاء الناس، بل وهذه سيرته صلى الله عليه وآله وسلم، مليئة بالأخبار عن معاملته لغير المسلمين مما يتنافى مع فهم وعمل هؤلاء الأعداء المتشدين، بل الذي نجده في كتاب الله (لا إكراه في الدين - ٢ / ٢٥٦) و(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (١٠ / ٩٩)). ونحن لا ننكر أن القتال هو ذروة الجهاد، ولكن الذي لا نقبله أن تكون الدعوة للدين بالتخويف بالقتل، وإنما تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهو الأمر الذي يثبت في القلب، وهو الشاهد في كل الأديان والدعوات والآراء حتى في صغير الأمر وحقيقه.

ولا نجد أن النبي ﷺ حارب أحداً من المشركين والكفار عرباً كانوا أو غير عرب لأجل إدخالهم في الإسلام.

وإنا وجدنا أن السبب في قولهم إنما هو التقليد الأعمى - وما أكثر ما سبب التقليد من انحرافات - فإنهم تناقلوا هذا القول من غير عرضه على كتاب الله أو مقارنته على أفعال رسول الله ﷺ ولو أنهم فعلوا لتبين لهم الحق من الباطل، ولكن رضاهم بالاعتقاد والفقهاء والرأي من غير دليل صرفهم عن الحق الذي تدركه عقولهم بلا شك ولا مرأى، ولكنهم أغلقوا كتاب الله (إلا للتبرك)، وعطّلوا سنة رسول

الله ﷻ بتعطيلهم الاستدلال بها إلا إذا وافقت المذهب، وما أبشع ما قاله أحدهم: (كل آية أو حديث ليس عليه مذهبنا فهي منسوخة أو مؤولة!!).

وقد انتشرت رسالة الشيخ عبد الله بن زيد عن الجهاد في طبقات متعددة قبل أن تتوج هذا المجموع، وقد نالت الاستحسان والتقريظ والثناء الجميل من عدد كبير من أهل العلم والرأي، بل إنك تجد ما يؤيدها في أقوال العلماء من عهد الصحابة إلى عصرنا الحاضر، ومن أبرز من وضع هذا الشأن الإمام الأوزاعي وشيخ الإسلام ابن تيمية، والسيد محمد رشيد رضا وغيرهم من العلماء، ولما كانت كل فضيلة لا تظهر ظهوراً كاملاً إلا أن يقيض لها لسان ناقض ومعترض وحاسد!! فقد ألفت أحدهم رسالة في الرد على الشيخ ابن محمود مخطئاً له فيما ذهب إليه مستدلاً على ذلك بأقوال لبعض متأخري المذاهب من المقلدة الذين منتهى ما يرجعون إليه المتون وبعض الحواشي البعيدة عن الدليل، بل المنافية أيضاً لأقوال أئمة المذاهب المعبرين، وما كان رد هذا المسكين إلا سبباً من أسباب تداول الناس سراً وجهرأ لرسالة الجهاد.

ولم يكتف صاحب هذا الرد بالتعريض بالشيخ ابن محمود بل صرح بنقد مجمل لعدد من العلماء رامياً إياهم بسوء النية وفساد القصد، مع أنه لو ذكر مواطن مخالفاتهم بأمانة ورد عليها بعلم لكان عمله مشكوراً عند الناس مأجوراً عند الله. سواء أخطأ أو أصاب، وأما رمي الناس بسوء النية فإنه أمر خطير يحسن بالمسلم أن يتجنبه؛ لأنه من أمور القلوب التي لا يعلم ما تنطوي عليه إلا علام الغيوب، ونحن ليس لنا إلا الظاهر، وعليه مدار أحكامنا، نسأل الله السلامة.

ومنها هذه الأمور التي طنطنوا حولها وصوروا بلاد الإسلام وأحكامه بصورة تخالف الواقع وتظاهروا بالرد على ما أشاعوه هم بأنفسهم، غير أن المطلع الخبير والعاقل البصير يدرك أنهم هم أصحاب تلك الفتنة، وهم الذين أعطوا الخصم الحجة القوية، وسعوا إلى مراكز ديانة الكفار وعواصمهم ليدافعوا بالحجج الضعيفة الواهية، ثم رجعوا ليمتنوا على الإسلام والمسلمين بما فعلوا؟ مع أن ما فعلوه من تهديم أعظم معقل للإسلام!! أكبر بكثير من تلك المكاسب المزعومة عاملهم الله بما يستحقون.

وليس يخاف على أحد من المسلمين ما تعرضت له الشريعة الإسلامية من حرب لا هوادة فيها من قبل أعداء هذا الدين الحاسدين والمدلسين، وأكثر ما كانت حروبهم على الأحكام الشرعية، الأمر الذي أدى إلى ضياعها في كثير من بلاد المسلمين، وما بقي منها فإنه أقل القليل الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

وقد بقيت بعض البلاد بعيدة عن التأثر بدعوات النابذيين للأحكام الشرعية، الداعين إلى تطبيق الأحكام الوضعية بدعوى (تقنين التشريع)، وهي في ظاهرها تدليس على المسلمين، وعلى الأخص أهل تلك البلاد الكريمة التي ما زالت تحكم بالشريعة الإسلامية، وتتخذ الأحكام فيها من قبل المحاكم الشرعية والرئاسات الدينية.

وحقيقة هذه الدعوات هي الاحتكام للطاغوت، والأخذ بالقانون الروماني الذي تشبثت به أدمغتهم، وتشربته قلوبهم، وعاشوا على حبه في بلادهم وبيوتهم، ونشأ عليه أبنائهم وأهلهم، وبثوه في كتبهم ومؤلفاتهم، ونددنا حوله في اجتماعاتهم ومجالسهم.

وقد قامت منذ سنوات دعوات مشبوهة في ذاك البلد الطاهر، يؤججها سراً بعض من طرأ على تلك البلاد، متفنياً ظل حكامها الوارف، مستغلاً كرم أهلها المعروف.

ولما كانت قطر العريضة وما جاورها من بلاد تتأثر بكل ما يحدث في وسط الجزيرة، فقد كثرت التساؤلات حول موضوع (تقنين الأحكام الشرعية وتغيير المحاكم الإسلامية) فكتب الشيخ ابن محمود هذه الرسالة الصغيرة، وكفيك عنوانها للدلالة على ضلال أصحاب دعوة التقنين ومقاصدهم السيئة ومخالفاتهم لأحكام الله عز وجل، فإنه سماها (الأحكام الشرعية ومنافاتها للقوانين الوضعية) مبيناً أن هذه الأحكام: هي دستور المسلمين، وقانون فضائلهم وفرائضهم، ومنهاج سيرتهم وسيرهم، يستضيئون بنور الله، ويحكمون بما أنزل الله اتباعاً لقوله سبحانه: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (٤٩) ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١) وقد مكث الناس

من عهد رسول الله ﷺ حتى عهد قريب في أكثر مشارق الدنيا ومغاربها يتحاكمون إلى هذه الشريعة الفراء، راضين بحكمها قابلين بعدلها .

وأما النظم البشرية فإنها لم تكفل للبشر سعادتهم، وما أمنت لهم راحتهم، وما حلت من مشاكلهم إلا أقل القليل، الأمر الذي سهل ارتكاب الجرائم، حيث لا قصاص ولا حد ولا تعزير .

فإبدال شريعة الدين بشرعية القوانين من الضلال المبين، والبلاء على الناس أجمعين؛ لأنها محض آراء قوم لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله من الزنا، والربا، والقمار، وشرب الخمر، ولا يدينون دين الحق، وهي مبنية على عزل الدين عن الدولة، وتبيح للناس ما حرم الله عليهم من أكل الربا أضعافاً مضاعفة، وكما تبيح الزنا الواقع بالتراضي إذا لم يطلب زوجها أو أحد أقاربها منعها .

وتحكم بصحة ربا النسيسة الذي اتفق الكتاب والسنة وأجمع علماء الأمة على تحريمه، فهي تلزم بدفعه إلى المرابي من بنك وغيره .

بل إنك تجد أصحاب دعوة تقنين الشريعة يتولون الدفاع عن هذا الربا بمختلف أنواعه وأشكاله صراحة ووقاحة لا تدليساً ولا تلبساً، وهو معروف عنهم غير خاف على أحد يعرفهم. ممن تقلهم الغبراء، وتظلمهم الزرقاء .

فكانت هذه الرسالة حجراً في فم أعداء الدين، ومستنداً للحكام في إيقاف أصحاب هذه الدعوة عند حدهم، ومنعهم من الخلط في هذه المسائل التي تفسد على الناس دينهم، بل وتكون مسببة وعاراً على كل من يرضى بها، وله قدرة على منعها، حاكماً كان أو محكوماً، أمراً أو مأموراً .

وخلاصة القول، فإن هذه الرسائل التي بين يديك بذل فيها المؤلف الجهد لنصحك وإفادتك أيها القارئ الكريم، وهو أمر يشكر عليه، ونرجو الله أن يغفر لنا وله ولجميع المسلمين الزلل، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، وعباده المتقين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بيروت - منتصف شعبان المعظم ١٣٩٨هـ .

زهير الشاويش